﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢﴾

[البقرة: 81 - 82]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهَما:

لـمّا ادّعى اليهودُ أنَّ النَّارَ لا تمسُّهم إلَّا أيَّامًا معدودةً، عُلِمَ أنَّ الواقعَ غيرُ ما ادَّعوه، فصرَّحَ بهِ بحرفِ الجوابِ في قولِه: ﴿بَلَىٰ﴾، والمعنى: بَلَى بَلْ أَنْتُمْ تَمَسُّكُمُ النَّارُ، وتَخلدُونَ فيها على خِلافِ ما تزعمون، وعلَّلَ ذلك بوصفٍ هم بهِ مُتلبِّسونَ مِنْ كسبِ السَّيِّئةِ وإحاطةِ الخَطيئةِ، ثُمَّ ذكرَ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لِتَعْقِيبِ الوَعيدِ بالوعدِ، والنِّذارةِ بالبِشَارَةِ عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿كَسَبَ﴾: الكسبُ يَدُلُّ عَلَى ابْتِغَاءٍ وَطَلَبٍ وَإِصَابَةٍ، وقد يستعملُ فيما يَظنّ الإنسانُ أنّه يجلبُ منفعةً، ثمَّ استُجْلِبَ به مَضَرّةٌ، ويُستعملُ في فِعْلِ الصَّالحاتِ والسَّيئاتِ، والكَسْبُ يُقالُ فيما أَخذَهُ لِنفسِهِ ولِغيرِه[2].

والمعنى هنا: ارتكب.

2) ﴿سَيِّئَةً﴾: أصلُ الكلمةِ (سَاءَ) الشَّيءُ: إذا قَبُح، وسيِّئَةٌ على وزنِ فَيْعِلَة، وهي تأْنيثُ السَّيِّئ، وتدورُ الكلمةُ على معنى عَيبٍ أو نَقصٍ (قُبحٍ أو فَسادٍ أو مَرَضٍ) يخالطُ ظاهرَ الشَّيءِ أو باطنَهُ، وتقالُ السّيّئةُ لِمَا يوجبُ الإثمَ صغيرةً كانتْ أو كبيرةً، ولِمَا يستقبحُه الطَّبعُ[3]، وهي في الآيةِ بمعنى الشّركِ؛ لأَنَّه يتكلّمُ عن أفعالِ اليهودِ، وذهبَ بعضُ المفسِّرينَ إلى أنَّ السَّيّئةَ هنا بمعنى الكبيرةِ، والخَطيئةَ بمعنَى الكفرِ[4].

(1) الرازي، التّفسير الكبير: 3/584، والبقاعي، نظم الدرر: 1/496.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (كسب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (سوء).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 2/281، وابن عطية، المحرر الوجيز: 1/171.

3) ﴿وَأَحَٰطَتۡ﴾: الإحاطةُ من الحَوْطِ، ويدورُ على معنى الشَّيْءِ يُطِيفُ بالشَّيْءِ في استدارةٍ تامّةٍ، فالإحاطةُ الإحداقُ بالشّيء، والإحاطةُ بالشَّيء استُعمِلَت كنايةً عن العلمِ بالشَّيءِ من جميعِ جوانبِه، وعن حفظِهِ، وعن التَّمكُّنِ منه والقدرةِ عليه وإهلاكِه، وتُستعملُ الإحاطةُ في الأجسامِ، ومنه الحائطُ وهو الجدارُ الذي يحوطُ بالمكانِ، كما تستعملُ في المعاني[1]، ومنها قولُه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا﴾ [النساء: 126]، ومعنى أحاطتْ به خَطيئتُهُ : أَخذتْهُ خطيئتُهُ من جميعِ نواحيه، إمّا لشركِه، وإمَّا لإصرارِه على الكبيرةِ[2].

4) ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾: أصلُ الكلمةِ (خَطَأَ)، والمعنى المحوريُّ للكلمة يدورُ على تخطِّي مَوقعِ الشَّيءِ أو تجاوزِهِ باندفاعٍ، ومنه الخَطَأ ضدُّ الصَّوابِ؛ إذ هو تَخَطٍّ للوضعِ المقصودِ، والخطأُ: الذنبُ؛ لأنّه يتركُ وجهَ الخيرِ، والجمعُ الخَطيئاتُ والخَطايا، ويقالُ: أخطأَ، إذا سلكَ سبيلَ خطأٍ عامدًا أو غيرَ عامدٍ، والخاطِئُ هو القاصدُ للذّنبِ[3].

5) ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: جمعُ صاحِب، والصُّحبةُ تدلُّ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ وَمُقَارَبَتِهِ، وكُلُّ شَيْءٍ لَاءَمَ شَيْئًا فَقَدِ اسْتَصْحَبَهُ؛ فالأصلُ في الصُّحبةِ هو الملازمةُ، وإذا كانت بين شَخصَين فتقتَضِي الملاءَمةَ كذلك، وذهبَ بعضُ اللُّغويين إلى اشتراطِ كَثرةِ الملازمةِ للاتِّصافِ بالصُّحبَةِ، بينما ذهبَ آخرُون إلى أنَّ الصُّحبةَ تدلّ على الاجتماعِ، طالَ الزَّمنُ أو قَصُرَ[4]، والمرادُ بأصحاب النار: الذين يلازمون نارَ جهنَّم ملازمةً دائمةً لا تنقطع.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بيّنتِ الآيةُ أنَّه ليسَ الأمرُ كما ذَكرتُم - أيُّها اليهود - من أنَّ النارَ لا تَمسُّكُم إلّا أيّامًا مَعدودةً، بل كلُّ مَنْ كسبَ سيّئةً وعملَ بمثلِ عملِكُم وكفرَ باللهِ، وانغمسَ في المعاصي - وأنتم منهم -، وأحاطَتْ به خطيئتُه فصارتْ خَطاياهُ كالحائطِ الذي يحيطُ به مِنْ كلِّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حوط).
(2) البغوي، معالم التنزيل: 1/138.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (خطأ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (صحب).

جانبٍ، ثمَّ ماتَ على هذه الذُّنوبِ ولمْ يتبْ منها، فجزاؤُهُ جهنّمُ خالدًا فيها، وفي المقابلِ فإنَّ كلّ مَنْ آمن باللّهِ وعَمِلَ صالحًا جزاؤُهُ الجنّةُ خالدًا فيها، فهذا هو مقتَضَى العَدلِ.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ التَّصديرِ بـ﴿بَلَىٰ﴾:

استَحَقّت هذه الكلمةُ المَزيّةَ بموقعِها في النّظم؛ إذ تناسقتْ دلالتُها في نَسجِ ربطِ ما قبلَها بما بعدَها، فجاءتْ ردًّا على ما قالَهُ اليَهودُ ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾، كما أَنَّها مهَّدت لِمَا بعدها ببيان علّةِ الرّدِّ، وذِكْر الحكمِ العامِّ الّذي يشملُ اليهودَ وغيرَهم ممَّن كسبَ سيّئةً وأحاطتْ به خطيئتُه بأَنَّهم أصحابُ النّارِ، ثمَّ إنَّها مهَّدت لاقترانِ الوَعدِ بالوعيدِ، فذُكِرَ المقابلُ، وهم الّذين آمَنُوا وعَمِلوا الصّالحاتِ، الّذين هُم أصحابُ الجنَّةِ بأنَّهم فيها خالِدُون.

(بَـــلَىٰ) تنفي المـــاضِي الـــذي قبلَها، وتُثبتُ الـمُستقبَلَ لِمَا بعدَها

بلاغةُ استعمالِ صيغةِ العُموم ﴿مَن﴾:

تحتملُ ﴿مَن﴾ أَنْ تكونَ اسمًا موصولًا، وأَنْ تكونَ اسمَ شرط، وكلا الاحتمالَين يُفيدان العُمومَ، وكونُها موصولةً أولى لمقابلتِها بما بعدَها ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وجاءت صيغةُ التَّعميم للتّهويلِ وبيانِ حالِهم بالبُرهانِ والدّليل، كما أشعر التَّعميمُ بالتَّعليلِ بسببِ صلةِ الموصولِ في قوله: ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[1]، كما أَنَّ هذا التّعميمَ مهّدَ لتعميمِ المقابلِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

استدلالُ القرآنِ يـــقـــومُ عـلى الإقناعِ بالتّعليلِ المناسبِ للحُكمِ

بلاغةُ الإخبارِ عن ﴿مَن﴾ بالجَمعِ:

﴿مَن﴾ لفظُها مفردٌ ومعناها جَمعٌ؛ لأنّها تفيدُ العمومَ، فحُمِلَ على اللَّفظِ في عودِ الضَّميرِ في قولِه: ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ و﴿بِهِۦ﴾

كـــلُّ فـــردٍ لـه جزاؤُه، والحكمُ بـالـنّـكـالِ على الـكُـلِّ للتَّفظيعِ والتَّهويلِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/122.

و﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، ثمّ أعادَ على المعنى في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، فاسم الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، والضّمير ﴿هُمۡ﴾، وضمير الجمع في ﴿خَٰلِدُونَ﴾ تعود على ﴿مَن﴾، فعاد الضّميرُ أولًا على المفردِ؛ للإشارةِ إلى أَنَّ كلّ نفسٍ تَحملُ ما عليها فـ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدّثر: 38]، ثمّ حُمِلَ على المعنى، وهو الجمعُ بعد ذلك للإشارةِ إلى اجتماعِ أهلِ النّارِ؛ فيكونُ أكثرَ وبالًا عليهم، وللدّلالة على قدرته ﷻ، وإلى هذا المعنى أشارَ البقاعيُّ في قوله: "ولـمّا كان إفرادُ الضّميرِ أنصَّ على جزاءِ كلّ فردٍ، والحكمُ بالنّكالِ على الكلِّ أنكأَ وأروعَ وأقبحَ وأفظعَ وأدلَّ على القدرةِ، أفردَ ثمّ جَمَعَ"[1].

بلاغةُ أسلوبِ التّهكُّمِ في استعمالِ الفِعلِ ﴿كَسَبَ﴾:

تحريكُ المخاطَبِ للإقلاعِ عن ذنبِه بوصفِ ذنبِه

أصلُ الكَسبِ يكونُ في الرّبحِ وجلبِ المنافعِ، فاستعمالُه في السّيئةِ من بابِ التّهكُّم[2]؛ لأنّه يُتوهّم في السَّيِّئةِ الكسبُ؛ فقد يكونُ فيها ربحٌ عاجلٌ أو منفعةٌ زائلةٌ، ولكنَّها تبقَى سيّئةً، فلا ينبغي فعلُ السّيئةِ، وإنْ تلبَّستْ بالمنفعةِ الزّائلةِ[3]، وأسلوبُ التّهكم يُقصدُ به التّأثيرُ في المخاطَب ليرجعَ إلى نفسِه ويتركَ الخَطأ، فإنَّ السَّيِّئَةَ ليستْ بكسبٍ يُحرَصُ عليه.

بلاغةُ الاستِعارةِ التّمثيليّةِ في قوله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾:

كلمةُ ﴿وَأَحَٰطَتۡ﴾ مستعارةٌ من الحَوْطِ، ومنه الحائطُ الذي يُحيطُ بالشّيءِ فلا يكونُ له نَفاذٌ؛ فالفعل ﴿وَأَحَٰطَتۡ﴾ يفيدُ تصويرَ حركةِ إحاطةِ الخَطيئةِ حتّى تكونَ سورًا لا منفذَ له، فصارت كالحائطِ الّذي يحيطُ من جميعِ الجوانب، "فَالعَرَبُ يَقُولونَ: أَحَاطَ العَدُوُّ بِالقَبِيلَةِ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْهَا وَغَلَبَهَا، لأنّ الإِحَاطَةَ بِهَا تَدُلُّ عَلَى الإِحْداقِ بِهَا وَتَطوِيقِهَا. وَلَمَّا كان ذَلِكَ هَزِيمَةً وَامْتِلَاكًا لَهَا صَارَ تَرْتِيبُ أُحِيطَ بِهِمْ اسْتِعَارَةً تَمْثِيلِيَّةً لِلهَلَاكِ، فالإِحَاطَةُ مُسْتَعَارَةٌ لِعَدَمِ الخُلُوِّ عَنِ الشَّيْءِ؛ لأنّ مَا يُحِيطُ بِالمَرْءِ لَا يَتْرُكُ لَهُ مَنْفَذًا لِلإِقْبَالِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ"[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 1/497.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/90.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 1/306.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/581، و11/137.

بلاغةُ ذكرِ السّيّئةِ قبل الخَطيئَةِ:

الخطيئةُ نتيجةُ اجتماعِ السَّيِّئات وتراكُمِها

قد يقال: لِمَ لَمْ يقل: مَنْ كسَبَ خَطيئةً وأحاطَتْ به سَيِّئَتُهُ، وقال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؟ والجواب: أَنَّ فعلَ السّيئةِ والمُداومةَ عليها يَجرُّ إلى الوقوعِ في الخطأ، ومُعاودتِه والانهماكِ فيه حتّى يستوليَ عليه؛ فكأَنَّ الخطأَ يُحيطُ به من كلِّ جانبٍ، فعاقبةُ السّيئةِ الوقوعُ في الخطأِ ما لم يَتُبْ صاحبُها، ثم يزدادُ الخطأُ حتّى يصيرَ خطيئةً مُلازمةً؛ ويُعزِّزُ ذلك أنَّ (خَطيئة) على وزن فَعيلة الدالِّ على الأوصافِ الملازمة.

دلالة الإضافَةِ في ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾:

مـن تـلـبّـسَ بـالـخـطـيـئـةِ واستـسـهَـلَـهـا وعاودَها لازمتْهُ وما تـزالُ تُحيطُ به حتى تُهْلِكَهُ

الخطيئةُ هُنا يُقصَدُ بها جِنسُ الخطيئةِ، والمعنى: أحاطَتْ به جميعُ أنواعِ خَطاياهُ المُلازِمَةِ له، كما أفادت الإضافةُ ملازمةَ الخطيئةِ لصاحبِها، وكأنّها صارت من خواصِّه التي لا تنفكُّ عنه؛ لأنَّ الإضافةَ على معنى اللَّامِ التي تُفيدُ الاختصاصَ، فلمَّا لازمَها ولازمتْه أُضيفت الخطيئةُ إليه؛ ولِهذا لَمْ تقعْ كلمةُ (سيِّئَة) مضافةً؛ لأنّها لَمْ ترسَخْ إلَّا بعد إحاطةِ الخطيئةِ، وقراءةُ نافع: ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بالجمع[1] تؤكِّدُ العمومَ، أي: أحاطتْ بِهِ جميعُ أنواعِ خطيئاتِهِ، واستحسَنُوا قراءةَ الجمعِ؛ لأنّ الإحاطة لا تكونُ بشيءٍ واحدٍ غالبًا[2].

دلالة الفاءِ في ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾:

أفادتِ الفاءُ ترتُّبَ الجزاءِ على العملِ، للدّلالة على أنّ اليهودَ لم يَسْتَحِقُّوا النّارَ إلّا بفعلِهم؛ فالمقامُ ليس مقامَ إخبارٍ، بل هو مقامُ استدلالٍ وإقامةِ الحجّةِ على اليهود؛ فاقتضَى إيرادُ الفاءِ الدّالةِ على التّرتُّبِ وبيان السَّببِ إذا وقعت بين الجملِ.

(1) ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص: 162.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 1/306.

دلالة اسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الّذي هو للبَعيدِ:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾: تقدّمَ أَنَّ إيرادَ اسمِ الإشارةِ جمعًا مراعاةٌ للجمعيّةِ في معنى (مَنْ)، وجاء إيرادُ اسم الإشارة؛ لِينبّهَ إلى استحضارِ المشارِ إليه بِمَا ذكرَ من أوصافِهِ؛ لِيدلَّ على استحقاقِهم صحبةَ النّارِ وملازَمَتهم لها وخلودهم فيها بما اتّصفُوا به؛ فيدلّ على عِلّيَّةِ المَأْخذِ، من أنّ الحكمَ على المذكورين بالنّار بما استحقُّوه بالمشارِ إليه[1]؛ أي: استحقّوه بكَسبِ السيّئةِ وإحاطةِ الخَطيئةِ بهم، كما دلّ اسمُ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الّذي هو للبَعيدِ على بُعدِ مَنزِلَتِهم في السّيئاتِ والخَطايا.

بلاغةُ الاحتراسِ بذكرِ الخلودِ بعد الصُّحبةِ:

صُحبةُ النّارِ دليلُ المُلازَمَةِ، والخُلودُ دليلُ الدّوامِ

لـمَّا أخبرَ اللهُ عمّنْ كسبَ سَيِّئَةً وأحاطتْ به خطيئتُه بأنّهم أصحابُ النّارِ دلَّ على أنّهم مُلازِمُون لها؛ لأنّ صاحبَ الشّيءِ يلازمُهُ، وإنّما عبّرَ بالمُصاحبَةِ دونَ الاجتماعِ؛ لأنَّ المصاحبةَ تقتضي طولَ لُبثٍ، فكلُّ اصْطِحَابٍ اجتماعٌ، وليس كلُّ اجتماع اصطحابًا[2]، ولا يُشترطُ في الصُّحبةِ الخلود، فقد يعقبُها الفِراقُ، وأمّا الخلودُ فهو دائمٌ، "فزيادَةُ لفظِ الخلودِ دليلٌ على أنَّ الصّحبةَ تطلقُ على مطلقِ الاجتماعِ وإن لم يكنْ معَهُ دوامٌ"[3]، فيكون ذكرُ الصُّحبةِ عذابًا معنويًّا، والخلودُ عذابًا حِسيًّا، وذكرُ الخلود بعد الصُّحبة احتراسٌ عن توهُّمِ انقطاعِ العذابِ.

قلبُ اعتقادِ أهلِ الباطلِ دفعٌ للمراءِ وتحقيقٌ للحقِّ

نوعُ القَصْرِ في قولِه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

ورد المُسندُ إليه والمُسندُ مَعرِفَتين، فأفادَ تعريفُهما القصرَ الإضافيَّ لا الحَقيقيّ[4]، فالمعنى: إنَّكم أنتم أصحابُ النّارِ وليس

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/12.
(2) الرّاغب، المفردات: (صحب).
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/357.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/581.

غيرَكُم ، فأفادَ القَصرُ قلبَ اعتقادِ اليَهودِ إذْ أخطَؤُوا فتوهَّمُوا أنّ النّارَ لن تمسَّهم إلَّا أيّامًا مَعدُودةً قليلةً، وأنّ الخلودَ في النّارِ ليسَ لَهُم، فمفهومُ قَصْرِ القلبِ مأخوذٌ من السِّباقِ.

بلاغةُ تقديمِ الجَارِّ والمَجرورِ في قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾:

خلودُ أهلِ الجنّة تمامُ السّعادةِ، وخلودُ أهلِ النَّارِ تمامُ الشَّقاءِ

تقدّمَ ﴿فِيهَا﴾ وهو حالٌ في المَوضِعَين عندَ ذكرِ خلودِ أهلِ النّار وخلودِ أهلِ الجنّة، فأفادَ التّقديمُ تخصيصَ المكانِ؛ لبيانِ هَولِه لأصحابِ النّارِ، وجَمالِه وطِيبتِه لأصحابِ الجنّة، فيكونُ المعنى: هُم خالدُون فيها وليسَ في غيرها، فلا ينتقلُ أصحابُ النّارِ عن النّارِ، ولاينتقلُ أصحابُ الجنّةِ عن الجنّةِ، وهذا من التَّمامِ للفريقين، أمَّا أهلِ الجنةِ فتمامُ سعادتِهم، وأمَّا أهلِ النَّار فتمامُ شقائهم.

بلاغةُ الوَصلِ بين الجملِ:

تـمـامُ مَـدْحِ المُؤمنين بذكرِ جـزائـهـم بعد بـيـانِ جـزاءِ الكافرين

وُصِلَ قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بما قبلَه استكمالًا للمقابلةِ بين الفريقين؛ فقد "جَرَتِ السُّنَّةُ الإلهيَّةُ على شفْعِ الوَعدِ بالوَعيدِ مُراعاةً لما تقتَضيه الحِكمةُ في إرشادِ العبادِ من التّرغيبِ تارةً، والتَّرهيبِ أخرَى، والتّبشيرِ مَرةً، والإنذارِ أخرى"[1]، وتَردُ المقابلةُ للتّأثيرِ في المخاطَبِ، فيقارنَ بين الحقِّ والباطلِ، فيقتَنِعَ بالحقِّ ويَعملَ بعملِ أصحابِ الجنّةِ، وينتَهِي عن عملِ أصحابِ النّارِ، ولدفْعِ اعتقادِ اليهودِ الباطلِ في أنَّهم أصحابُ الجنَّة، فكان الوَصْلُ لبيانِ الفريقِ المرضيِّ، بعد ذكرِ الفريق المغضوبِ عليه، وهذا في غايةِ الحمْدِ للمؤمنين، وغايةِ الذَّمِّ لليهودِ.

دلالة اقترانِ العَملِ الصّالحِ بالإيمانِ:

في القرآنِ أكثرُ من خَمسِين آيةً وردَ فيها الإيمانُ مقترنًا بالعملِ الصَّالحِ؛ تنبيهًا على أنّه لا بدَّ من أنْ يَقتَرِنَ بالاعتقادِ الأعمالُ

(1) إرشاد العقل السليم: 1/122.

الصّالحةُ، والعطفُ يقتضي المغايرةَ كما تقدّمَ غيرَ مَرَّةٍ، فدلّ على أنّ الإيمانَ يكون بالقلبِ، والعملَ الصّالحَ يصدّقُهُ.

بلاغةُ نظمِ اسمِ الإشارةِ في قولِه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾:

جمالُ الإشارةِ بحسنِ العبارةِ في مدحِ أهلِ الجنَّةِ

أفادَ اسمُ الإشارةِ بُعْدَ منزلةِ أهل الإيمانِ وعلوّ مَرتبَتِهم وشَرَفَ مكانتِهم العاليّةِ، فاختلَفَت دلالة اسمِ الإشارةِ هنا عمَّا سَبَقَ؛ لأنّ السّياقَ هو المرشِدُ إلى هذهِ الدّلالة، وخلا اسمُ الإشارةِ من الفاءِ العاطفةِ، زيادةً في الإكرامِ والمَدْحِ، فإنَّهم هم المُستحقّون أن يوصفوا بأنَّهم أصحابُ الجنَّةِ، فالجملةُ مستقلَّةٌ بهذا البيانِ، بقطعِ النَّظرِ عن أيِّ اعتبارٍ كان، وفيه من جمالِ الإشارة بحسن العبارةِ بالاقترانِ بما جاءَ في وصْفِ اليهودِ ما لا مزيدَ عليه في الحُسنِ والجمالِ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الكسب والاكتساب:

الفرقُ بين (كَسَبَ) و(اكتَسَبَ): تقدَّم أنّ الكَسبَ يكونُ من غيرِ جُهدٍ، وأمَّا اكتَسَبَ فهو على وزن افتَعَلَ المُنبِئ عن الاجتهادِ والطَّلبِ؛ أي اجتهدَ في تحصيلِ الإصابةِ بأنْ زاولَ أسبابَها[1]، فقال في الآية: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ﴾ ولم يقل: (بَلَى من اكتَسَبَ)؛ للدّلالة على أنّ فعلَ اليهودِ السّيئاتِ من دونِ جهدٍ يبذلونَه، لأُلْفَتِهم لَها، واستِسهالِهم فعلَها، حتّى صارَ دَيدنُهم فعلَ السّيئةِ.

السّيّئةُ والخَطيئَة:

ذهبَ أكثرُ المفسِّرين إلى أَنَّ السّيئةَ هي الكفرُ، والخطيئةَ هي الذّنوبُ التي ليست بكفرٍ، وذهبَ آخرونَ إلى أَنَّ السّيئةَ هي الذّنوبُ الّتي ليست بكفرٍ والخطيئةَ هي الكفرُ، وهناك قولٌ ثالثٌ يذهبُ إلى أَنَّ السّيئةَ والخَطيئةَ شيءٌ واحِدٌ وأَنَّ الخَطيئةَ وصفٌ للسّيئَةِ[2]، والقولُ بأنّهما شيءٌ واحدٌ ليسَ بصَحيحٍ؛ لِأَنَّ العطفَ يقتضي المغايرةَ، فلا شكّ في أنّ واحدًا من اللَّفظين يدلّ على الكفرِ والآخرَ على الذّنوبِ، ولو قلنا: السّيئةُ هي الكفرُ- كما ذهبَ إليه

(1) الرضي الأستراباذي، شرح الرضي على الشافية: 1/110.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 1/281-282، أبو حيان، البحر المحيط: 1/450، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/122.

جمهورُ السّلفِ – فهذا لا يدلّ على الاطّرادِ في معناها في كلِّ آيةٍ تردُ فيها؛ فإنّ سياقَ الآيةِ هنا هو الّذي خصَّصَ السّيئةَ بمعنَى الكفرِ والخطيئةَ بمعنَى الذّنبِ الذي ليس بكفرٍ.

ومنْ أجملِ ما قيلَ في الفَرقِ بين السّيئةِ والخطيئةِ أنَّ الفرقَ بينهما من حيثُ الدّلالة المعجميّةُ واضحٌ، وأمّا الدّلالة على الكفرِ فهو في تركيبِ ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾؛ فالتّركيبُ دلّ على الكفرِ، وليس خصوصُ كلمةِ خطيئةٍ؛ لأنّ إحاطَة الخَطِيئَاتِ هِيَ حالَةُ الكفْر؛ لِأنّهَا تَجْرِيءٌ عَلَى جَمِيعِ الخَطايَا[1].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 2/1، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/581.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»